

تحفة
للنشر والتوزيع

المقعدُ الأخيرُ

نصوص

تأليف:
سيهام عبد المجيد

المقعدُ الأخيرُ

تأليف:

سهام عبد المجيد

.. نصوص..

نوعه: نصوص.

الكاتب(ة): سهام عبد المجيد

مسؤول(ة) الدار: أميرة بوقفة.

الطبعة الأولى: 2026

الإيداع القانوني: 2026/01.

تاريخ الإصدار: 17/01/2026

ISBN: 978-9969-9876-8-3

دار تحفة للنشر والتوزيع

الجزائر- ولاية باتنة – بلدية بوزينة.

رقم الهاتف: 06.76.89.04.67

البريد الإلكتروني: tohfapublishhouse@gmail.com

جميع حقوق الكتاب محفوظة لدى دار تحفة للنشر والتوزيع،

ولا يسمح لأي جهة بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تعديل أي

جزء منه، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب

لا عن رأي الناشر، والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

الفهرس

المقعدُ الأخيرُ

✨ مقدمة الكتاب ✨

نقطة المنتصف هي الأصعب؛

هنا، أنت مُخيَّر بين العودة إلى الوراء وكأن شيئًا لم يكن، وبين الاستمرار نحو المجهول، لأنك لا تريد تضييع الجهد الذي بذلته لتصل إلى المنتصف. ففي النهاية، هناك احتمال للوصول... عكس إلغائه تمامًا.

هذا ما فعلته الآن؛ هذه النصوص كتبتها بين الحين والآخر: أحيانًا في لحظات حزن، وأخرى في لحظات فرح، خوف، أو حنين.

هي مجموعة نصوص كُتبت بصدق، دون زخرفة. ليست مثالية، لكنها حتمًا حقيقية. جمعتها في هذا الكتاب لتصل إليكم بدل أن تبقى منسية في ذاكرة الهاتف.

ربما ستجد فيها شيئًا يشبهك، نقطة مشتركة، وجهة نظر واحدة، وربما أنت أيضًا ترى العالم من نفس الزاوية التي أراه منها. وإن حدث ذلك، فرأيك يهمني.

الفصل الأول: البدايات والجذور

يزعم الكثيرون أن شخصية الإنسان تتكوّن في مرحلة المراهقة، لكنني لا أؤيد ذلك. أتذكر جيدًا أثر تلك الكلمات التي سمعتها في طفولتي؛ فلا يزال صداها يرنّ في أذني، ولا زلت عالقة في تلك الأحداث التي لم تكن الأجمل بالنسبة لي.

أظن أن شعور الأمان نكتسبه في الطفولة، وكذلك القبول، والقيمة الذاتية، والجرأة على قول "لا" دون خوف. هذه المشاعر كلها نتبناها في أولى مراحل حياتنا، لنواصل بناءها في مرحلة المراهقة وصولًا إلى الرشد.

لكن الجذور المتعفّنة غالبًا لا تثمر، بل تظل أسيرة التربة إلى أن تغرق في الوحل. هذا ما كان حالي... وأظن أنه ما زال كذلك.

أول ما تسجّله الذاكرة هو ما يحتل أكبر مساحة فيها، وتكون له الأولوية دائمًا.

رغم تعدد المواقف وتبادل الأحداث في ذاكرتي، فإن ذلك الجزء لم تلمسه شائبة. ظل على حاله، لم تتجرأ أي مرحلة من حياتي على الاقتراب منه؛ فالأولوية كانت دومًا له.

كانت جميع المراحل العمرية تمجده وتهابه، ولا تحاول حتى مصارعته أو التغلب عليه لتأخذ مكانه... وهكذا تكوّنت حياة أقل لمعانًا مما كان يمكن أن تكون عليه.

الفصل الثاني: الذاكرة والحنين

غريب الإنسان خلق فضولي يحب معرفة كل شيء وفي نفس الوقت يهاب المجهول، يخاف الموت والاختبارات، يهاب المستقبل هل ما يعيق الفضول هو الخوف من المجهول ومن الوجهة القادمة، ماذا لو ترجدنا من الخوف هل كانت ستكون حياتنا أفضل؟ هل كنا سنحقق أكثر من المتوقع؟

حزينة داخلي كأن وقتي توقف كأنني اتلاشى وأشعر بالعدم، دوما ما أتساءل كيف يمكن للناس تخطي الماضي والسير قدما نحو المستقبل كيف يمكنهم نسيان من شاركهم لحظاتهم الجميلة والسيئة على حد سواء كيف ينسى الإنسان من علمه كل شيء من شعر به من سهر عليه وقت مرضه، من خاف عليه من نسمات الريح الباردة، من ضحى بنفسه ليسعدك! أظن أن الناس اقوياء جدا وانا وحدي الضعيفة حاولت مرات عديدة أن أرى الحياة من منظور آخر كأن أتقمص شخصية فتاة لا مبالية لطيفة متفائلة لكن حساسيتي

المفرطة منعتني من عيش الدور كثيرا كانت كل كلمة تقال لي بنبرة سيئة، كل انتقاد يجعلني ادخل في دوامة تفكير وأتذكر كل المواقف السيئة التي عشتها منذ أول يوم من قدومي لهذا الكوكب كلمة واحدة كانت تكفي لتحرق روحي.

نفس اللون الذي اغرمت به الصيف الماضي بعد أن إرتديته وخسرت أحدهم أصبحت لا أطيقه، الكرواسون الساخن الذي كان يشتريه لي والدي كان الألذ بين كل مأكولات العالم الآن بالكاد أمر بجانب محل يبيعه، لا أطيق رائحته!، العطر الذي كان يعجب صديقتي وتسألني مرارا عن إسمه توقفت عن إستخدامه بعدما غدرت بي، الأغاني التي كنت أستمع لها في طريقي للثانوية لا أستطيع سماعها الآن تشعرني بالعجز والحنين للماضي.. أظن أننا مجموعة ذكريات ولا شيء ثابت كل شيء متغير بتغير الظروف، فلا شيء معصوم من فقدان بريقه الكل معرض للصدأ.

نولد أقوياء لا نهاب شيء مندفعون نحو الحياة بعد عامين نتعلم أن النار مؤذية والكهرباء كذلك، بعد مرور أعوام نعلم أن الركض بدون حذاء متين مؤذي والخروج بدون لباس دافئ يصيبنا بالمرض، بعد أعوام أخرى نرى أغلب الأشياء مؤذية، عندما نصل لمرحلة نرى فيها أن البشر قد يكونو أشد أذية من كل ما سبق حينها نكون قد كبرنا حتى لو كنا في العشرين.

كم أشفق على نفسي وعلى بني آدم جميعا، كم نحن ضعفاء كم نحن مساكين كم نحن مزيفين وننكر الحقيقة نصنف أنفسنا اننا نوعين خياليين وواقعيين وفي حقيقة الأمر كلنا نعيش الخيال كلنا متفائلون للحد الذي يجعلنا نتعلق بالخلود وننسى حقيقة الفناء.

أكثرنا عمرا سيعيش قرن من الزمن رغم ذلك نتسابق نتحايل، ننجرف، نحاول أن نستمتع باللحظة قبل أن تتركنا ولا نستطيع اللحاق بها، نظن أننا اذكياء فنحرم أنفسنا من لذة الطعام خشية

الوزن الزائد ومن النوم العميق خشية أن تفوتنا الحافلة للعمل ونركن مشاعرنا على الرف لنوهم أنفسنا أننا سعداء وفي أفضل حال، نطمح للمال ونسعد به لنشعر أن وجودنا مهم، متناسين حقيقة أن الكون كله مسخر لنا وأنه فينا ينطبق الكون الأكبروجسدنا معجزة وروحنا خالدة لا فانية، فوجودنا يكمل الكون وبه نكمل.

نأذي بعضنا البعض كأننا نقتص من الخطايا، نكلف أنفسنا مالا طاقة لنا به متناسين أن القدر مقدر، نعلم كل شيء ونرفض تصديقه والعيش على أساسه، نحن ضعفاء للحد الذي يجعلنا نتجاهل الحقيقة ونفضل العيش في قوقعة السراب لربما لأن الحقيقة أكبر مني ومنك وواقع السفر لوجهة مجهولة في نهاية الرحلة أمر لا يثيرني ولا يثيرك فلماذا نختار الواقع مادام هنالك خيال.

أتعلم ما الغريب أننا متناقضون جدا لدرجة أننا أحيانا نتمنى بكل جوارحنا أن تتحقق أحلامنا لتصبح واقع ملموس نحتضنه ونعيشه،

وأحيانا أخرى نهاب الواقع ونلهي أنفسنا عنه نتمنى لو أنه كابوس ونستيقظ منه.

الذاكرة هل نعمة أم نقمة وسبب للخير والشر؟ هل نوع الذكريات هو من يحدد هوية الفرد، وهل يكون نفسه دونها؟ ثم هل شخصية الإنسان تبنى انطلاقًا من الذكريات؟ مثلاً هل الشخص الذي عاش الظلم سيتبنى الشجاعة أسلوب حياة وسيبحث عن القوة لينتقم من الماضي الذي سلبه ذلك، والإنسان الذي عاش في رخاء دون أي ضغوط سيتبنى شخصية منطقية هادئة؟

أظن أن الماضي أو التجارب التي عاشها الإنسان بصفة عامة هي من تخلق شخصيته، لأنها تحفر في ذاكرته كالوشم الذي يندمج مع دمه. فمن عاش في بيئة غير مستقرة وفي وسط فقير سينضج قبل الذي عاش وفي فمه ملعقة ذهب. لو فقد ذاكرته أي منهم، متأكدة

أنه لن يبقى نفسه. فالذكريات تكون الواقع، والواقع القاسي يغير الطباع، والطباع تكون الشخصية، والشخصية تصنع الحدث.

الفصل الثالث: صراع الداخل والمحيط

المحيط قد يكون أحيانا مؤذي يقمع كل جميل بداخلك خشية ان تحجب الرؤية عنه، يخاف من طيفك لأنك تكشف حقيقته و تظهر ظلامه، لكن في المقابل سيمتص طيفك ليمنع ظهورك سيحاول ان يغرقك في سواده لأنك تزعجه و بريقك يعميه ،سيطفأ نورك و يبتسم لك ،بل سيحاول ان يقنعك أنك عديم اللون حتى و أنه كريم للدرجة الذي أصبح سواده مأوى لك، سيقنعك أنك لا شيء و أنه كل شيء ،سيوهمك أن قبوله بك يستحق منك الثناء ،سيحرض كل ما حولك ليحاربك بهم و يبتسم لك ثم يمثل دور المنقذ و هو المهلك .سيجعلك تشك في نفسك وفي طيبتك ،أتعلم أسوء شيء يفعله بك هو أنه سيجعلك تحتقر نفسك و تشعر بالدونية ثم الخجل مما أنت عليه، ستنقلب الأدوار ليسقط صورته فيك سترى كل عيوبه تتجسد فيك قالبا لا قلبا ستظن أنك هو و هو أنت.

ستراه بعينك التي لا تبصر سوى الجمال وسترى انعكاسك بعينيه التي لم تبصر الجمال يوما إلا وشوهته لترى نفسك قبيح هزيل المشاعر مكروه ليس ذو قيمة .

الناس أحيانا قد تحطم كل ما هو جميل فينا لا أعلم كيف ترتبط حياتنا بهم لهذه الدرجة ولما نحن مسؤولين عن نيل رضاهم على حساب أنفسنا وهم بالمقابل في لحظات ضعفنا يفرحون لألمنا.

غريب كيف بامكانهم طرح سمومهم في جسدك دون لمس كيف يأثرون على هرمونات جسدك، كيف يرتفع مستوى الدوبامين لمجرد سماع صوت أحدهم وكيف ينخفض عندما تلمح التعاسة فيهم ...المحيط قد يكون بوابتك للجحيم او النعيم. انا دوما ما أؤمن بتأثير المحيط على الفرد في النهاية لسنا أحرار للحد الذي يمكننا فيه الإستغناء عن البشر فنحن مضطرين على التعايش معهم.

المحيط قد لا يقبل التجديد غالبا يحب الأشياء الثابتة التي لا تحتاج تحليل أكثر من مرة، يحبونك أن تكون كتاب مفتوح تم دراسته

والمصادقة عليه فلا مجال للتغيير، تماما كالعصافير الحرة التي تهاجر أينما أرادت وقتما أرادت وعلى الله رزقها لكن للإنسان رأي آخر جعل منها زينة ومن أنينها نغمة ليرى نفسه في نهاية الأمر أنه كريم، فهو يطعمها ويسقيها وله فضل عليها.

لا أحب أن أكشف اوراقي كلها أخاف أن أكون واضحة للحد الذي يجعل من معي يخمن بماذا أفكر، أحب دوما ترك أفكاري بعيدة عمن حولي لأبعد حد لأنها وفي النهاية خاصة بي تمثلني ثم من يضمن أنها لن تتغير، أن تتغير بالنسبة لي لا مشكلة لكن الناس منهم من لا يقبلون التغير يسمونه تمرد ولن ينسوا نسختك القديمة مهما طال الزمن، الناس قد لا تغفر زلاتك ولا تنسى أخطاءك فإذا تم وضعك في قائمة المفسدين ستبقى هناك لن يمحى إسمك منها حتى لو تغيرت وغلبت حسناتك سيئاتك.

نظن أننا نعيش الحياة، والحقيقة أن الحياة هي من تعيشنا.

هي من تمتص طاقتنا... هي من تمتلكنا وتتحكم بنا، تصنع منا ما تشاء. تجعلنا أكثر لطفًا، أو أكثر قسوة، حسب مزاجها وتقلباتها وأين وضعتنا ومن وضعت في طريقنا وما الدروس التي كلفتنا بإتقانها، بعضنا تكلفه بدروس صعبة كمادة الرياضيات وإن لم تتقنها أول مرة ستعيدها لك مرارا وتكرارا حتى تتقنها.. المطلوب منك في النهاية اتقان كل دروسك التي كلفتك بها.

تضع في طريقنا أناسًا يحبوننا دون مقابل، وآخرين يحبوننا بمقابل...

أناسًا نحبهم ولا يحبوننا، وآخرين لا نحبهم إلا بعد أن يرحلوا.

تدفعنا نحو تجارب تغذي فينا الخير، وأخرى توقظ فينا الشر.

فالخيبة تولد الغضب، والغضب يجعلنا ننتقم ممن ...من أنفسنا أولًا.

كم مرة حكمنا على كتاب من غلافه، فقط لأنه يشبه غلاف كتابٍ آخر ترك فينا أثرًا سيئًا؟

كم مرة تراجعنا عن المحاولة لأننا توقعنا الخسارة، بعدما اعتدنا عليها؟

كم مرة أغلقنا النافذة التي تطل على منظر يفتننا، خوفًا من أن نعتاد جماله وتتوارى الفصول؟

نحن في قبضة الحياة... ولسنا من نمسكها بقبضتنا.

فإن رضيت عنا، زرعت في دروبنا الجمال، حتى نراه في كل شيء.

وإن لم ترضَ، جعلتنا أسارى، عاجزين عن الإبصار، حتى لو منحتنا الشمس لاحقا... يكون قد فات الأوان، لأننا لم نعد نُبصر لنرى نورها ولا نشعر لنتدفأ بحرارتها.

دوما ما نتهم المحيط ونعيبه ونحمله الذنب أنه السبب فيما نحن فيه وفي حقيقة الأمر أحيانا يكون واقعنا صنع أيدينا نحن.

أتذكر نظرات تلك المرأة الغريبة جيدا و أنا أمشي في الطريق تقاطعت طرقنا صدفة حتى رفعت رأسي لأشعر بثقل نظراتها كانت

تنظر بشكل يشعرني أنها تخترقني ،ترى داخلي،شعرت بنفسي مكشوفة ككتاب مفتوح يمكن قراءة سطوره،للحظة شعرت بالرعب،الخوف و الخجل و العار ،لا أعلم كيف استرجعت كل تلك الأحاسيس التي إختبرتها يوما،لكن الغريب كيف فهمت نظراتها كيف فسرتها و كأني أتقن نفس لغتها،هل نظراتي أيضا للناس نفس نظراتها ؟هل هذه المرأة واجهتني بنفس سلاحي؟دوما ما كنت أحمل الذنب للاخرين و لم أتهم نفسي يوما حتى وجدت متهم واجهني بسلاحي .

هل دوما نبحث عن العيوب في محيطنا وننسى أنفسنا؟ هل نحن مثاليين؟

الفصل الرابع: الذاكرة، الحنين، وأثر الفقد

غالبا لا نعرف قيمة الأشياء الجميلة إلا بعدما نتعرض لخسارة شيء ثمين ونجرب ذلك الشعور الذي لا يوصف بل يعاش فقط، حينها لن تعود أبدا كما كنت ولن تعيش في أمان ثانية بل ستبقى خائف من المستقبل، من الحاضر ومن الماضي، من الذكريات التي تألم روحك، التي تعاتبك، تسلبك طمأنينتك حينما تدرك أنك لن تعيشها مجددا، فتلك الإبتسامة والضحكة والنظرة أصبحت ماضي، العيش على الذكريات مؤلم جدا.

للأسف الأشياء الجميلة لا تدوم طويلا ،فالحياة لا تعطيك حتى تأخذ منك، لتعوضك بأشياء بلا قيمة بعدما أخذت منك قطعة من روحك، تخدرك بنعمة النسيان أو بالأصح التناسي و أن هذه الأوقات ستمر فأنت لست الأول و لن تكون الأخير ،يجب عليك التجاوز ستتعود على الألم حتى

يصبح جزء منك و تتعايش معه فالأيام كفيلة لتنسيك...كلها عبارات مألوفة متداولة بين الجميع تقال لمن يفقد عزيزا لعزائه لكن الحقيقة أن لا شيء سيتغير بعدها، عمق الجرح سيزيد الألم مع مرور الوقت، الشوق يزيد، الفارق الزمني يكبر ،البعض الآخر يرى أن الحياة هذا ما يجعلها حياة التوازن بين الأبيض و الأسود ،الليل و النهار ،الشمس و المطر ،البرد و الحر ،الحلو و المر ،فلولا الحر لما صلينا صلاة الاستسقاء و لما عرفنا قيمة المطر و لولا الظلام لما عرفنا قيمة ضوء النهار ،كذلك السعادة لن تعرف قيمة الفرح إلا بعد حزن و لن تعرف قيمة ما تملك إلا بعد مرارة الفقد، الحياة تعطينا دروس فنحن تلاميذها لكننا لسنا كلنا نجباء أغلبنا نرسب في فصولها فدروسها قاسية،باهظة الثمن، صعبة الفهم لا يستوعبها إلا الداهية،الأمطار التي نصلي لتنزل قد تكون سبب فياضانات تتسبب بموت المئات أو الألاف فليس كل ما نريده هو خير لنا و ليس كل ما لا

نريده شر لنا ،لله حكمته في الأرض و هو يعلم ما هو خير لي و لك.

الصور ليست سوى ذكريات مجمدة تعيد لأذهاننا لحظات كنا بها سعداء و لم نعرف أننا كنا كذلك !كأنها ضريبة لخطيئتنا على عدم تقدير تلك اللحظات الجميلة التي لن تتكرر مرة أخرى، في نفس الوقت تظهر لنا مدى قصر هذه اللحظات و تغير الحياة من حال لحال كأنها تواجهنا بحقيقة الحياة و قصرها، أظن أننا محظظون لأننا أبناء القرن الواحد و العشرين فالتكنولوجيا إستطاعت تثبيت صور وأخرى متحركة لأشخاص إختفوا فجأة من حياتنا دون وداع مسبق، لملامح نتذكرها كلما شاهدنا تلك الصور، أتذكر جيدا ذلك اليوم الذي غرقت فيه جدتي بالبكاء و لما سألتها عن السبب أخبرتني أنها نسيت ملامح والدها و نبرة صوته ،أخبرتني أنها تشعر أنها خسرته للمرة الثانية وما أبشع أن تخونك نفسك و تنسى ملامح من كان جزءًا من روحك، لذلك إستغل اللحظة أو

عش متحسرًا عليها لأنها ببساطة ستتحول لصورة ،لجماد ،لذلك تعلم أن تستشعر و تقدر الجمال في كل شيء و في كل اللحظات واللحاق بها قبل أن تتحول لذكريات.

الحنين لا يرحم، يزورك دون موعد، يقلب دفاترك القديمة، يذكّرك بأشخاص كانوا يومًا عالمك كله، ثم اختفوا فجأة دون موعد، يأتي ليختبرك إن تجاوزت أم لازلت عالق في نقطة الصفر ولم تجد بعد طريقا تسلكه أو كتف تتكأ عليه ولا شخص تحكي له عما يألمك، يريك كم تغيرت، وكم تغير كل شيء من حولك. يذكّرك بأن البداية كانت هناك في لحظة غير متوقعة أصبحت أسيرها تكدست كالسلحفاة تحتها، لكنها أصبحت الآن كل ما تتذكره فالبداية كانت تلك ووقتك توقف هناك.

صيفي الحزين

لا أحب الصيف، لم أكن يومًا من معجبيه.

توهّج شمسه يعميني، وأشعّتها تحرقني، كأنها أكثر مما تحتمل بنيتي الجسدية. كان جسدي دائمًا يرفضه، يتجاوب معه بالمرض والاكتئاب كلّما حلّ الدفء والحرّ.

أظنّ أن جسدي كان أصدق منّي... كان يعرف ما لا أعرف، ويتهيّأ بصمتٍ للمستقبل. كأنه كان يهمس لي بأن في قلب أحد أيام الصيف، سينفطر قلبي ويهرم جسدي، ولن يقوى على حملي بعد الآن.

ستلتوي أضلعي، ويذوب جلدي، وتمطر عيناي أكثر من أمطار الشتاء.

سيعمّ البرد أيامي، ويستوطن الصقيع قلبي.

حينها، سأتمنّى لو عاد ذلك الاكتئاب الصيفي البسيط، لأكتشف أنه لم يكن شيئًا يُذكر أمام ما أنا عليه اليوم.

سأشتاق إلى حرارة الشمس تلامس جلدي، وسأفرح فقط إن أبصرتُ ضوءها.

اشتقت لرؤية الألوان... كان هناك ألوان، وكان لون البحر يحيي روحي، ونسيم المساء يروّقني.

منذ ذلك اليوم، وأنا أحاول أن أُبصر ثانية، أن أرى الجمال الذي استخففتُ به سابقًا، أن ألمحه ولو للحظة، أن تعود إليّ الرؤية... أن أشعر بالحياة.

لكن بصري ضعف، وصار الأبيض والأسود رفيقيّ الدائمين.

قد طال موسم الشتاء، حتى صارت كل مدفآت العالم عاجزة عن إذابة جليد روحي.

آسفة لتلك الأيام التي تذمّرت منها، كانت أجمل مما ظننت.

كان هناك فصول، وكان هناك شمس، وكان هناك دفء...

والأهم، كان هناك ضوء يوقظني كل صباح، ويدفعني لأن أستمر في الحياة.

الأيام غريبة، لا أحد يدرك قيمتها إلا بعد أن تنتهي. كل يوم يحمل معه وعدًا غير منطوق بالاستمرار، لكنها أيضًا لا تعدنا بشيء ولا توهمنا بل نحن من نختار تلوينها فنضحك، نحب، نحلم، لا ندرك أننا نصنع ذاكرة سنعود لها بعد سنوات ربما ستكون أجمل مرحلة ولم نكن نرى جمالها ذاك حتى اختفى، ربما سنحاول إحياء الشعور ذاته مرارا وتكرارا لنستشعر تلك اللحظات! لكن عبثا فالشعور بقي هناك وجسمك الجديد لم يعد يتعرف عليه أصبح غريب عنه، لا يشبهه فقد لينه ذاك وبساطته تلك، أصبح مزيج من العقد النفسية التي لا تفك بسهولة، ويبقى التمسك بالأوهام ومحاولة التأقلم مع الواقع كل ما تبقى لك.

كأن الجمال كله يقتصر على البدايات بداية فيلم، بداية اغنية، بداية يوم، بداية حياة بالأخص، فبعد البداية لا تأتي النهاية بل ما هو أسوء بكثير هو فقدان الشغف، الموت البطيء، التشكيك في القرارات، لوم النفس، الرغبة في العودة للوراء ومسح البداية لكتابة

بداية أجمل. لكن غالبا كل القصص متشابهة. الحياة ليست فيلم يفوز فيها البطل لأنه طيب القلب والكل يحبه، بل أقسى من إن تتعاطف معك. لا تهتم لروحك ولا لشكلك ولا لإنسانيتك بل تعاملك على حسب دهائك واستغلالك للفرص. حتى من هم من بني جنسك أحيانا سيعاملونك مثل الحياة، يتعاطفون مع القوي الذي يملك دوما خطة بديلة للمضي قدما نحو الأمام ويسحقون الضعيف الخجول المتردد الذي يطمح وينظر من بعيد. يخافون المتمرد لكن في أعماق أنفسهم يكنون له كل مظاهر التقدير والاحترام ويمدحونه في الخفاء لأنه جريءو حارب الظروف حتى فرض نفسه، بل يتمنون إن يكونوا مثله. لذلك خبئ ضعفك بينك وبين نفسك وارتدي قناع الجرأة لتزيد فرصك في الحياة.

الفصل الخامس: الإنسان بين الخوف والفضول

أحيانًا أظن أننا كلنا مجانين، أو بالأصح لدينا جانب ونسبة من الجنون لا تظهر إلا عند أشد لحظات الضعف... الخوف... الاستسلام. الضعف عادة يجعلنا نفقد السيطرة أمام القدر الذي لا يمكننا تغييره، فنخاف المستقبل ونستسلم ليخرج أسوأ ما فينا ويكافح الإنسان البدائي من أجل البقاء. ففي لحظات الضعف تظهر الأنانية، التسلط، حقيقتنا.

دوما ما كان الضعف أكثر ما يعري قناع التملق ليظهر الحقيقة كما هي دون زخرفة ولا مجاملات فقط من أنت، لتتفاجأ أنت نفسك بنفسك وتكتشف كم أنت متمسك بك وتحب ذاتك ولا ترغب إلا بالمقاومة والنجاة. في النهاية كلنا نخاف الفناء، لأن لا أحد عاد من هناك، وهذا يزيد الطين بلة.

الخوف من المجهول، ولو كان معلومًا حسب الأديان، إلا أنه أمر مرعب. فكرة السفر دون معرفة الوجهة ودون تذكرة عودة قرار لا يتخذه عاقل اعتاد على الأمان قوتًا ليومه.

مؤخرًا أصبحت أفهم الناس أكثر من قبل وأميل لتخيل معاناتهم. لا أعلم لماذا، ربما لقدرتي على توقع الألم والشعور به بما أنه رفيقي منذ سنين. مثلا، أنا أفهم تماما لماذا جد صديقتي ليلى الذي يبلغ السبعين عامًا لا يزال يعمل رغم قلة صحته وكثرة ماله، لأنه مثلي يخاف من الواقع ويخشى مواجهته فالبقاء دون عمل يعني الفراغ والفراغ يجعلك تستمع لهواجسك وتدخل في دوامة تفكير لا مخرج منها سوى القضاء على الفراغ.

ومن قال إن كبار السن أقوياء؟ أليس الجسد من يهرم والروح تبقى دوما شابة تبحث عن متسع من الأمان والحب والاحتواء؟ فإن توفرت، أنعشت روحك لينعكس على جسدك وابتسامتك. وإن غابت، أصبحت مثل جد ليلى الذي يستمر في الهروب... لكن إلى متى؟

نحمل الكبار مسؤوليات تفوق قدرتهم. ألم يكونوا أيضًا أطفالًا مثلنا؟ ألم يجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها وحيدين، يتامى، ومع مسؤوليات كثيرة وفواتير وواجبات؟ لماذا نتوقع منهم كل شيء؟ هل بسبب أن الزمن الذي قضوه على هذه الأرض أكثر مما قضينا نحن؟ وهل هذا الزمن يغير المشاعر وينقص من حدتها مع ترهل الجسد وعجزه؟ أليس كل من خسر عزيزًا يتيمًا؟ لماذا يقاس عمرنا بأجسادنا؟ أليس هذا ظلمًا؟

كلما واجهت المجهول، كأنني أعيش بين قوتين: قوة الفضول التي تدفعني للمضي قدمًا، وقوة الخوف التي تمنعني من المغامرة بين الواقع وما قد يكون واقع يوما ما، الجرأة تجعلك تخاطر لكن هل أنت متأكد أنك ستعود نفسك بعد المغامرة هل درست الخسائر جيدا وهل تأكدت من إمكانية ترميم ما كسر، أحيانا لا نخاف من أحد بل نخاف من أنفسنا لأن وفي نهاية المطاف لا أحد هناك ينتظرك ليتفحص أضرارك بل ستصل وحيدا منهك القوى لا صوت يخفف عنك وطأة الوقوع إلا صوتك فالأفضل أن يكون رفيقك لا ضدك.

نحن نتغير بتغير الظروف روحنا مرنة تصقل حسب الظروف ،دوما ما نجد طريقة للاستمرار ،ندعي الضعف و نحن أقوياء، ندعي العجز و نحن نستطيع ،ندعي حب الغير و كل همنا أنفسنا نحن أنانيين جدا و أقوياء جدا جدا.نحب الشعور بالأمان لكننا نفضل الحرية و ننتظر قدوم اللحظة التي نختلي فيها مع أنفسنا لنزيل عنا الأقنعة التي إرتديناها طوال اليوم ،ننشء قائمة طويلة من الضروريات التي ندعي أننا لن نستطيع العيش بدونها،نحب مأكولات و مشروبات و نكره أخرى ،لكن عند الضرورة نأكل كل شيء و نشرب كل شيء إذا كان الأمر يتعلق بالبقاء على قيد الحياة همنا أن نبقى موجودين في عالم نتذمر منه طوال اليوم ، كأننا مزيفين بالأصل ،كأننا لا نعلم عن نفسنا الا ما كنا نريد أن نكون عليه لسنا صادقين لسنا أوفياء بل متصنعين حد الغثيان.

الفصل السادس: مرايا

رغبة عارمة في الكتابة، في التعبير تنتابني اليوم، ظللت طوال اليوم أكلمني عن ماهيتي من أنا هل تغيرت كيف تغيرت، هل نرى أنفسنا دوما أبرياء ومظلومين ونحن لسنا سوى أناس سامين، هل نتقن دور الضحية و في الأصل نحن الجلادين؟

من الأشياء التي أخشاها جدا هي أن أفقد طيبتي أحيانا أصاب بالذهول عندنا أرى بعض كبار السن طيبين أتسائل مع نفسي كيف أمكنه ذلك كيف تحمل طوال هذه المدة و حافظ على طيبته، ألم ينفذ مخزون الصبر عنده ،فالحفاظ على معدنك و طيبتك في زمان كهذا يكاد يكون جهاد، أي أنفس تلك التي تمسكت بقلب الطفل الذي بداخلها طول هذه المدة ،عن نفسي أرى أن طيبتي تنقص كلما زاد عمري، كأن بينهما علاقة عكسية العالم يسلبك حتى نواياك الحسنة

يجعلك تتلطخ بقذارته رغما عنك ،نولد بقلب بريء يحب الكل يضحك مع الكل ثم يتعرض للسوء ممن حوله مرة تلو الأخرى حتى يجعلوك تكاد تكون نسخة منهم فالمحافظة على معدنك من الصدأ فعلا إنجازا يستحق الثناء.

تمر الأيام، نكبر لتكبر أحلامنا، ليزداد وعينا، لتتلاشى أوهام الطفولة عن العالم المثالي شيئًا فشيئًا. تندمج الألوان لتخلق ألوانًا قاتمة أكثر، تندرج نحو السواد، فتتضح الرؤية. نرى العالم على حقيقته التي كنّا نجهلها أو بالأحرى كنّا أصغر من أن نستوعبها.

رغم ذلك،

لا تزال أرواحنا مرهفة؛ أشياء تافهة تبكينا، وكلمات صغيرة تغنينا عن أشياء كبيرة. هكذا الحياة تمهّدنا تدريجيًا وتقوّينا لنتمكّن من التعايش مع ظروفها، فلكل فصل من فصولها لون وذوق ورائحة، تغيّرنا من الداخل قبل أن تغيّر ملامحنا وتعْلوها التجاعيد والشيب.

في كل مرة نريد فيها رؤية أنفسنا نلجأ للمرآة، كأنها المفتاح الوحيد لمعرفة الحقيقة. لا نعلم شكلنا ولا كيف يرانا الآخرون إلا من خلال انعكاسنا فيها. لكن ماذا عن دواخلنا؟ من يكشفها لنا؟ كيف نرى أرواحنا؟ أهي الجمادات التي تعكسها، أم نظرات الآخرين التي تفضح ما نخفيه؟

شكلنا يبقى ثابتًا، هو نفسه الذي ينعكس في المرآة ونراه في أعين من يحبنا ومن لا يحبنا. الصورة لا تتغير، لكن داخلنا... هناك دائمًا شيء يتبدّل. هل يوجد انعكاسٌ يعرّينا من أقنعتنا ويكشف حقيقتنا كما هي، دون أي تجميل أو إنكار؟

النظر المطوّل في المرآة يجعلنا ننتبه لأدق تفاصيلنا، نحدّق في كل ما تغيّر. لذلك، لا أحبها. لا أحب أن أرى نسختي الجديدة تنعكس عليها. أفتقد نسختي القديمة، تلك التي كانت مليئة بالشغف. ربما كانت أقل جمالًا، وأقل نضجًا وتجربة، لكنها كانت أكثر براءةً وتفاؤلًا.

ها أنا ذا، أنظر في المرآة نفسها، فأرى شخصًا لم أطمح أن أكونه يومًا. لا يمثلني. هش، عصبي، مليء بالتناقضات، يخشى اليوم قبل الغد، متشائم لأبعد درجة، ينكر ذاته ويشعر بالاحتقار والدونية. كأنه لا شيء... كأنه وهم، بقايا شمعة ذابت، رماد لا يمكن جمعه من جديد، شيء تالف بالكامل، غير قابل للإصلاح.

أراني هنا عالقة، أحاول النجاة، أحاول الدخول لألتقي بنسختي القديمة... أريد ضمّها بشدة، أن أخبرها ماذا فعلت بي الأيام، كيف جعلت داخلي يتآكل. أريدها أن تشعر بي، أن تخبرني: دعينا نتفائل، أنا هنا في مكان ما داخلك. لن أتركك وحدك. لا زلت أحبك. أتقبل نسختك الجديدة وسنصلحها معًا. أنا لن أفارقك أبدًا، فأنا جزء منك، هويتك، حقيقتك التي نسيتها ولم تنساك.

كلما حدّقت أكثر، ازداد ثقل هذا الإحساس. لم أجد حلًا لتوقيف هذه الدوامة سوى أن أغطي المرآة.

كثيرًا ما كنت أسمع عن الحنين، وأربطه بالفراق والأحبة، وأنه شعور صعب لا يُطاق. لكن ما لم أكن أعرفه أن الإنسان لا يشعر بالحنين فقط لغيره، بل يمكن أن يحنّ لنفسه! نعم... لنفسه القديمة. الحياة أحيانًا تجعل منا نسخة لا تشبهنا. تغيّرنا كثيرًا. الظروف أحيانًا بدل أن تصقلنا وتعدّلنا تجعلنا نتمادى، نكره ما كنّا نحب، نسأم الحياة، نذمّ الظروف، نرتدي أقنعة ليست على مقاسنا ولا تناسبنا، ظنًا منا أنها ستار لجروحنا وتحمي ما تبقّى منّا من نظرات العالم التي لا ترحم.

في المقابل، تصبح الأقنعة هويّتنا الجديدة التي تعوّدنا عليها مثلما تعوّد عليها غيرنا. ومع الوقت، ننسى ملامحنا الأصلية... كيف كانت بعيدة عن التكلف والدور الذي نؤديه يوميًا في مسرحية الحياة.

هنا، أنت مضطر لارتداء القناع في كل مرة بما يناسب ظروفك لتقنع نفسك وغيرك أنك مثالي جدًا. هنا، أنت البطل في قصتك، والمجرم، وأنت الجاني والمجني عليه، المثالي جدًا، والضعيف جدًا جدًا.

هذه معركتك... إمّا أن تخوضها، أو تترك غيرك يعطيك دورًا ثانويًا في مسرحيته — ودون أجرة حتى.

الفصل السابع: الوجع الصامت

في الاخير أصبحت أعامل نفسي عكس ما أستحق وكأنني أعلن الحرب ضدها، فلا طاقة لي بمواجهة كل هؤلاء، أصبح الأسهل لي أن أواكب التيار وأحاربني كأنني عدوتي. أصبحت أفعل كل ما لا يجب على فعله وأضرني ثم أتركني لضميري الذي سئم من محاولات اللحاق بي قبل الوصول لتلك المواصيل. ركنت عقلي جانبا وتركت نفسي تقودني لطرق أجهلها ولم أسرها من قبل، لا أعلم أكانت جرأة أم فضول أم تمرد، تارة أخاف أن تمضي بي الحياة وأتحسر على مرورها دون أن أغامر لربما الحظ كله في المغامرة

والفرص لا تأتي عادة للجبناء فهي من صنع أولائك الذين لا يهابون الخسارة لكن في نفس الوقت روحي ليست صلبة لتتحمل النتائج الغير المرضية، ما يجعلني أعيد التفكير هو واقعي الذي يحتاج أمل، فرصة، القليل من ضوء النهار ليستمر ففي النهاية انا لا أضر أحدا ولا حتى نفسي كل ما أحاول القيام به هو ايجاد طريق يناسبني أسلكه.

كل ما أخشاه هو أن أجد الطريق مسدودة وأكون قد أضعت طريق العودة، لكن لا بأس ما دمت لا أشعر الآن بأي شيء. فالشعور باللاشيء أشد بهجة من وجود شيء، لأن وجود الأشياء يعني وجود إحتمالية زوالها ومدة صلاحيتها، لكن غيابها يخلصك من تبعاتها فأنت في مأمن عندما لا يوجد هناك ما تخسره.

هذا ما كان رأيي اتجاه الزواج أيضا، الزواج يعني وعد، يعني أطفال، يعني مسؤوليات وترابط وجداني روحي. لكننا وفي الأصل كائنات مؤقتة لن نكون دوما هنا. أظن أن الزواج يعني أن تفتح بابا

نحو المجهول لا يغلق برغبتك ولن تستطيع أن تكون كيانا مستقلا بعدها، فأنت مجموعة أشخاص بجسد واحد وعقل واحد. ستتبعثر، ستفقد السيطرة، ستجن، ولا سبيل لعودة الطمأنينة لحياتك، لهذا أنا دوما أفرح باللاشيء.

مضت سنوات وأنا لا زلت على قيد الحياة، كم أنا شجاعة، قوية، متفائلة. للجميع رأي مخالف تماما، لكني بيني وبين نفسي أعلم هذا جيدا. من سيتطيع التعايش مثلما فعلت؟ من سيتجاهل نهايته المحتومة مثلما تجاهلت؟ أليست لكل بداية نهاية؟ ألسنا أجسادا فانية؟ هذه الكلمات التي أذكر نفسي بها دوما كانت بمثابة المرهم الذي يخفف آلامي ويجعلني أستمر في الوقوف بالتوازي مع خط الحياة. فتارة أشعر بالانتماء لها وتارة أشعر أنني أكذب على نفسي ولا أنتمي لنفس الخط ولن أنتمي أبدا حتى يلتقي الخطان المتوازيان، وهل أصلا سيلتقيان؟

كل شيء كان واضحا وضوح الشمس. كما الشمس تحفظ طريقها وتكرر شروقها وغروبها، كانت الحقيقة كذلك تغرب تارة عندما يزدحم رأسي بمشاكلي التافهة وتعود عندما أختلي بنفسي وأجدني وحيدة ومضطرة لمواجهتي. كم أخاف الوحدة وكم أحب المشاكل. أحب كل ما يجعلني منشغلة به، فمهما بلغ حجم مشاكلي يكون لا شيء يذكر أمام حقيقتي.

قدومي لهذا العالم لم يكن صدفة. وجودي هنا يحمل معنى، ربما لا أراه لكني أشعر به، وهذا يعطيني أملًا. الساعة السادسة صباحا، المنبه يرن، الأحلام تنتهي، الواقع يفيق، الأجساد تستعد لمواجهة يوم آخر وربما الاستمتاع به مثلما لم أفعل يوما! القهوة، الثياب، الركض للوصول للعمل وعدم المبالغة في التأخير مثل العادة. التعامل مع مشكلات لا تخصك لكنها تشغلك عن مشاكلك.

أشتاق لتلك المشاكل وذلك الروتين. كان يشغلني عن مشاكلي الحقيقية وكنت في كل مرة أحل مشكلة أستشعر لذة الإنجاز وأتجرعها لأنني على يقين تام أني لن أذوقها في حياتي الواقعية فمشكلتي بلا حل وتتفرع لمعادلات بلا نهاية لا تقبل حلولًا. لم أجد ما أتمنى لكني سأستمر، لا لشيء، بل لأشغل نفسي عن نفسي.

الفصل الثامن: الخذلان

من العار أن نتأذى مرارًا وتكرارًا من نفس الشخص، على نفس الأسباب، ولا نزال هناك ننتظر تغييرًا. قد تصفعك الحياة مرة لتعلمك درسًا كي تصبح أقوى، أذكى، أكثر قسوة، أي أكثر واقعية. بعدما تمسح دموعك وينكسر قلبك وترمم بقاياه لتواصل الكفاح في عالم مادي خالٍ من المشاعر، تواجه ضعفك الداخلي تحت قناع القوة واللامبالاة. غالبًا تلك أقسى المراحل التي قد يمر عليها أحدهم.

ما ليس طبيعيًا هو تكرار نفس التجربة رغم مرارتها، وتتوقع نهاية مختلفة لطريق قد سلكته بالفعل وتعرف نهايته بل تحفظه عن ظهر قلب. أن تعطي نفس الشخص شرف تحطيمك كل مرة بكامل رغبتك، فأنت لم تعد سوى قلب دون وعي. حتى جسدك يتذكر أثر التجربة وكيف جعلتك قوة الصدمة تمرض وتلزمك الفراش لأيام وحلقك لا يزال يتجرع مرارتها ويداك تتذكر أثره عليها فترتجف،

ونبضات قلبك تتباطأ لأنك أتعبتها، لتتجاهل أنت كل شيء وتقرر تجرع السم ثانية!

الفصل التاسع: في قلب الفوضى

صدقتي لا أحد هنا بخير نولد كالطفيليات لانبذل اي جهد للحياة يوفر لنا الأباء كل شيء ،ننخدع بالعالم الوردي نظن أن الحياة دافئة هكذا دوما ولا شيء يدعو للخوف،نكبر لنخرج للشارع نرى وجوه بائسة لم نلمحها من قبل عيون حزينة،نظرات إنكسار،أيادي ترجف ،أناس بلا مأوى ننصدم من هول ما نرى ،نكبر ليكبر وعينا معنا يبدأ اللون الوردي بالتلاشي ليتحول لرمادي هنا أنت تعلم أن الوردي خدعة لكن لا تعلم ما السبب الذي جعله يتلاشى ستمر بتجارب ستتعرف على مشاعر لم تختبرها من قبل ،ستتعرض

لخيبات أمل غالبا ،ستشعر بالوحدة،بعدم الإنتماء، بالإختلاف ،ستكتشف أن بعض الوجوه الهادئة أكثر كيدا مما تبدو ،ستعلم أن القلوب ليست متشابهة و الأرواح بعضها متآلفة و أخرى متنافرة ،ستنصدم ،ستخذل ،ستعلم أن المعايير القديمة التي تعلمتها في المدارس عن الأخلاق الفاضلة ليست هي معيارك الحقيقي بل رصيدك المصرفي هو من يحدد قيمتك ،ستشمئز و تنصدم من الواقع.

هنا أنت تعود لنقطة البداية ستحلل كل الوجوه التي لمحتها، ستعلم أن عيون ذلك العجوز التي تبدو حزينة ومنكسرة ويداه التي ترتجف وتمسك بعكاز بالكاد يقع ليست سوى تجارب داخلية انعكست على ملامحه، التقدم في العمر أمر مخيف لأن النضج غالبا يصاحبه ضريبة المعاناة.

لا تستمر في تلميع حذائك فالطريق متسخة فلن يفيدك ذلك الأفضل لك أن تغير الطريق.

الخطأ أحيانا لا يكون فيك أنت عندما يكون ذنبك أنك أنقى من الازم إبحث عن بيئة نقية لتقدر نقاءك ،لا العيش في وسط متسخ و أنت تعلم جيدا أن البكتيريا تتكاثر فيه فلا محال أن تصاب بالعدوى ثم إن نقاءك سيستفز المتسخين سيرون أنك السبب وراء ظهورهم متسخين فقبلك كان الكل متسخ ولا مشكلة، لا أحد أفضل من الآخر لكن وجودك أنت الآن بينهم سيجبرهم على المقارنة ،ففي لغة الضوء النور لا يرى الا حين يجاوره الظلام ،تعرف و تبرز الأشياء بالتضاد فهم يرون أنك تظهر بتلك الصورة نقي بسببهم هم و على حسابهم، فلولاهم لما ظهرت ،يرون أن بسببهم تم تتويجك و نعتك بصفة النقي و بذلك أنت مدين لهم أو بالأصح أنت خصم لهم.

الكل يعلم الحقيقة و الكل يتجاهلها ،الجميع يختار التنكر و إرتداء قناع الامبالاة و أن ما حدث لم و لن يغير شيء، لكن تلك الكلمة كانت جديرة بإعادة الصحوة لروحها التائهة هل هي فعلا بالأساس ضائعة غير مستقرة فالأرواح الضائعة كما هي لا تنتمي لأحد لا تحب ولا تحب ،لا تتعلق ولا يتعلق بها ،لكن روحها كانت مختلفة فيها ندبة، تشوه جعلها تعاني أكثر من غيرها كانت التي لا تنتمي و تسعى للإنتماء ،التي لا تحب و تسعى للحب التي لا يهتم بها و تتسول الإهتمام كانت كثيرة التعلق بالأشخاص بالحيوانات بالأرض بالأماكن و كثيرا ما تربط الذكريات بأغاني بروائح بكلمات و ضحكات أشخاص ربما لم و لن تراهم مجددا و لم تكن لتشعرهم بمكانتهم في قلبها كانت تحب بصمت تشعر بصمت تتألم بصمت فيغادرون حياتها دون أن يعلموا أنهم جزء منها ،الكل يظن أنها قاسية ليست ودودة البعض يظنها متكبرة و البعض لا يراها أصلا لأنها غير مرئية بالنسبة لنفسها ،كيف سيراها غيرها ؟،لم تكن خجولة لكنها كانت غير إجتماعية منعزلة تستمع لموسيقى غريبة صاخبة لعلها تخمد هول أفكارها ،الغريب أنها كانت تشعر بالحزن

لأن لا أحد يحبها ،نفسها التي لا تقدم الحب إلا بينها و بين نفسها دون إظهاره لمن حولها ،كانت متناقضة أحيانا تشعر أن روحها حرة و مختلفة لا تحتاج لأحد و أحيانا لا تنام و تبكي طيلة الليل لأن لا أحد يشعر بها ،إختارت الوحدة و لم تتقنها أم الوحدة من إختارتها لا تعلم ،هل الشخص الإنطوائي يختار الوحدة و العزلة أم الوحدة من تختاره ؟،هل شخصية الفرد التي تتكون في سن المراهقة تكون بمثابة قرعة كل و نصيبه أم أنها شيء يتعلق بالطفولة و البيئة التي ينشئ فيها الفرد؟

الفصل العاشر: الخوف من المجهول

الثقب الأسود...

الخوف من المجهول يشبه الثقب الأسود، يبتلع كل شيء من حولك بصمت، يسحبك تدريجيا ويفقدك الإحساس بالزمن. لا يعود هناك مفر أو مهرب سوى مواجهة كل شيء وحدك. تشعر أنك تُسحب نحو العدم، نحو فراغ لا زوايا له، كأنك تختفي وتتلاشى من العالم ببطء، دون أن يلحظ أحد.

دوما ما كان الظلام يحيط النجوم فلماذا يحيط بي الظلام وانا لست ساطعة بل منطفئة من الداخل والخارج أيضًا. أصبحت باهتة بلا لون ولا رائحة ولا إحساس، معزولة منعزلة جثة هامدة ماتت منذ الأزل. هل الظلام فعلا يحيط بالنجوم فقط؟ أليس الثقب الأسود أشد عتمة رغم أنه في وسط الظلام؟ ألا يوجد لون أشد سوادًا من السواد؟ على الأقل السواد المحيط بالنجوم يستمد البعض من شعاعها. ماذا عن السواد المحيط بسواد أشد منه؟ من أين له ببصيص الأمل؟ من

أين يستمد ضوء نهاره؟ كيف الفصول عنده؟ هل يوجد فرق في أيامه أم ليله ونهاره واحد؟

هل حالنا يجب أن يكون حال النجوم التي تمثل الحياة لتظهر ساطعة وسط السماء وهي فانية منذ زمن لكنها اختارت أن تنير دروبنا رغم ذلك؟

الحياة قد تكون مستنقع، كلنا نتلطخ بوحلها مهما تجنبنا ذلك ومهما كنا على دراية تامة بطريقة النجاة دون اتساخ الا أننا نختار الوحل بكامل إرادتنا على أمل أن نتطهر منه لاحقًا بعدما نستمتع بالسباحة فيه. إلا أنه ما يحدث هو العكس تمامًا، نجدنا نغرق في الوحل أكثر وأكثر رغم رغبة النجاة إلا أن الوقت يكون قد تأخر كثيرًا.

هذا الطريق مر به الكثير من قبل والجميع يعرف تفاصيل القصة التي تعاد على مر عقود من الزمن، فقط تختلف الأجيال إلا أن النتيجة واحدة: الكل يغتر بالجمال، والكل تدفعه الرغبة والفضول لاكتشاف أعماق المستنقع، والكل يظن أنه سيكون بطل القصة

ويخرج منه كما دخل، والمفاجأة أنه لا أحد استطاع العودة منه أصلًا.

تلك كانت نصيحة كبار السن: لا تتبع المجهول ولا تسلك طريقًا لا تعرفه فربما تضيع ولن تجد طريق العودة مجددًا. فالمجهول دومًا يسلبك من الأمان إلى الخطر، من الطمأنينة إلى الضجر، ثم الاستسلام... ثم النهاية.

الناس معادن وليست كل المعادن صلبة منها سريع الذوبان ومنها سريع الانكسار أخطرهم سريع الصدأ، أتعلم لما هو خطير لأن باطنه عكس ظاهره، قد يغرك جماله وقد تشعر أنه ثمين جدا لتقتنيه أنت وفي الحقيقة أنك أنت من أعطيته قيمة فهو بالأصل بلا قيمة.

قد يغرك جمال البحر، لونه هدوئه نسيمه، مياهه الشفافة التي ستضن لوهله أنك ترى أعماقه فتقرر الابحار ضنا منك أنك في مأمن، حتى تنصدم بحقيقته فهو عديم اللون والرائحة، استعار لون السماء ليفتنك بها وهدوئه مفتعل سيحاول إغراقك والغدر بك ...لا تحكم على الكتاب من غلافه.

الفصل الحادي عشر: التغير والتحول

يأتي الخريف ليعري الشجرة ليعيدها لأصلها ليذكرها من هي، انتهى موسم التفاخر بأوراقها هنا سيتخلى الجميع عنها، ستتساقط أوراقها واحدة تلو الأخرى حتىً تصبح عارية تماما، لا شيء يحميها ستحرقها اشعة الشمس لأيام ويجمدها الصقيع والبرد، العصافير التي كانت ملجأ لها والحضن الدافئ الذي تحتمي به، هي الثانية تخلت عنها بعدما كانت تستمتع بنغماتهم على أغصانها، الان لا أحد هناك.

كأن الخريف يأتي ليظهر لنا أن دوام الحال من المحال ولا أحد لأحد و الكل يركض وراء مصلحته ،الحب الغير المشروط كذبة كبيرة ،و يجب أن تكون دوما سندا لنفسك لتواجه عواصف الشتاء فهي لا ترحم ،لكن أتعلم ما الغريب ،الغريب أنه بحلول الربيع و عندما تزهر الأشجار سيولد أغصان و أوراق أخرى فتتفائل الشجرة أن هذه المرة لن يخذلنها و تعاد الأحداث كل مرة و الشجرة لا تفقد

الأمل ،ربما لأنها تعلم أنها لو فعلت لن تستطيع مواجهة العواصف و ستتحول لحطب ثم رماد ،الانسان أحيانا يعلم الحقيقة لكنه يفضل أن يكذب على نفسه للإستمرار لأن الواقع أكبر من شيء يمكنه إستعابه و التعامل معه و تقبل الواقع يعني نهاية ربيعه .

نحن نتغير مع مرور الزمن دون أن نشعر، نصبح أكثر هدوءا، أكثر صمتا، نراقب الأشياء كما لم نرها من قبل، وندرك أن لا شيء يبقى على حاله، لا الوجوه، لا الأصوات، لا الأحاسيس، لا الأماكن، لا حتى نحن. نتحول دون إرادة، تدفعنا الأيام وتعيد تشكيلنا كما تشكل الرياح الرمال، نصبح أشخاصا آخرين دون أن نفقد ماضينا، ليتغير ظاهرنا وشكلنا فتتغير أغصاننا لكن البذرة نفسها تبقى مخبئة في مكان ما وغيابها عن العيان لا يعني عدم وجودها بل يعني أنها سبب وجودنا وهي هويتنا الأولى التي تمثلنا.

كل شيء يتغير، لا شيء يبقى على حاله فكما تتغيرالفصول، يتغير الناس، تسقط أوراق، وتزهر أخرى، تذهب وجوه وتأتي أخرى، ففي

كل فصل ستلتقي بمن يجعلك أكثر قوة ويهيئك للفصل الذي بعده كي تتحمل تقلباته، تماما كما الخريف يهيأ الشجر للشتاء والربيع يترك لك رسالة عند مغادرته أنه ليس سوى فصل فلا تتعلق به كثيرا كي يعود.

الأرواح ثابتة، لا تتغير في جوهرها؛ قد تصقل، قد تتحرر ، قد تنضج أكثر ، لكن الجوهر هو الأصل، هو المادة الخام التي تولد مرة واحدة فقط. البذور نوعها وأصلها ثابت، الظروف تهيئها لتتأقلم مع المناخ والتربة، وتعلمها التعايش والصبر ، لكنها لا تغير نوع النبتة ولا أصلها تماما كما يغير الثعبان جلده لكن أصله يبقى ثابت ولن ينقص ذلك من سمه شيئا.

الإنسان بطبعه لا يعترف بالنعم حتى يقع في المآزق فلولا اللحظات الصعبة لما كان للحظات الرخاء معنى، فالأشياء تكون ذات قيمة بمحدوديتها وحتمية زوالها، ما متاح دومًا يفقد قيمته، فغياب الأشياء

وندرتها هو ما يعطيها قيمة. لكن لا تنسَ أن تكون ممتنًا لكل اللحظات الصعبة، فهي لم تكن سوى لتمهد لك الطريق لتنال الأفضل.

الزمن ليس دومًا عدونا، أحيانًا قد يكون رفيقنا، هو من يجعلنا نعرف قيمة الأشياء عندما تكون على وشك أن تفنى. فاللحظات الأخيرة من المباراة مصيرية، ونهاية الفيلم تجعلك متحمسًا لأقصى درجة، ومعرفة الفائز في السباق يرضي فضولك. هكذا هي اللحظات الأخيرة هي الأهم فوجود النهايات هو ما جعل للبدايات معنى.

رغم جمال البدايات، فإنها لن تدوم. ستعطيك وعودًا زائفة، ستجعلك تتعلق بالسراب، ستشعر أنك أقوى، ولا يزال هناك متسع من الوقت، لكن ما لا تعلمه أن النهاية دومًا مقترنة بالبداية، وبينهما حبل شفاف يربطهم ببعض، لكننا نختار الجزء الأجمل، المضيء أكثر. فكل

الجمال في البدايات، أما النهايات فلا تهم، سنتدبر أمرها حين تحين.

التحول ليس نهاية، بل بداية فصل جديد.

حتى الوجع الذي نعتقد أنه سيكسرنا، لا يكسرنا بل يعيد ترتيبنا من الداخل، يزيل ما لم نعد نحتاجه ويجعلنا أكثر صلابة، تمامًا كما تفعل العواصف بالشجر، تقتلع الأغصان اليابسة لتفسح المجال لما هو جديد.

الإنسان لا يتغير في لحظة، بل يتغير بصمت على مهل، كل موقف، كل كلمة، كل نظرة، كل صدمة، كل خذلان، كل دمعة، كل فرح عابر، كلها تراكمات تصنع التحول بداخله، كما يصنع الضغط الانفجار تولد ذات أخرى من ذاته القديمة أكثر وعيا، أقوى وأرحم أتعلم لماذا أرحم؟ فكلما زاد الوعي زاد الشعور والإحساس وكلما كبرنا فهمنا الناس أكثر والذات البشرية والتمسنا أعذار وتفهمنا هفوات غيرنا لأننا أصبحنا نرى ما لم يكن يرى.

التحول مؤلم... لكنه ضروري. فالفراشة تمر باليرقة ثم الشرنقة قبل أن تطير وهي في كامل جمالها، والذهب لا يلمع إلا بعد أن يمر بالنار، والشجرة لا تزهر من جديد إلا بعد أن تتعرى في الخريف وتنجو من عواصف.

الفصل الثاني عشر: الجنون والحافة

كلما زاد إحساسك، زاد شعورك بالألم. ستشعر بكل شيء، ستبكي في صمت على غريب رأيته صدفة.

ستشعر بالشفقة على شيخ كبير، عيناه منتفختان يعلوهما الإحمرار، يداه ترتجفان، يحمل عكازًا يستند عليه، فالحياة أثقلت كاهله وأفقدته توازنه.

من يعلم كيف أصبح هكذا؟ ماذا خسر؟ ومن خسر؟ كيف كانت ردة فعله؟ وبماذا شعر عندما نظر إلى المرآة ورأى تغيّر ملامحه وتغيّر لون شعره تمهيدًا لمرحلة جديدة لم يكن مهيأً لها؟ لكنها الحياة... لا تسألك، تسلبك مباشرة ما تريد.

عن ماذا كان شعوره لحظة أصبح لا يتحكم في قبضة يده التي كان يكسب منها قوت يومه؟ عن شعوره عندما أصبح لا يقوى على المشي دون عكاز، وانقلب عليه جسده؟ عن لحظة فقده لبصره، ولم يعد يلمح سوى الظلام؟

روحه كانت يومًا ما مليئة بالحياة، تسبح في بحارها، تركض في طرقها، تشعر بالقوة والثقة بجسده، ويظن أنه لن يخذله... تمامًا كما كان يظن أنه لن يتألم، وينكر حقيقة أن الإنسان مهيّأ للألم كما هو مهيّأ للحياة فلن يصل إلى ذلك العمر إنسان لم يجرّب مرارة الفقد، ولم يخسر، ولم يُخذل، ولم يشعر بالوحدة.

كلما خسر معارك الحياة وأنهكت روحه، كلما تأثر جسده وجفت دموعه، لتعلن عيناه في النهاية التوقف عن الرؤية... فلا شيء بعد يستحق النظر.

غادر الأحبة... فجفّت الأرض من حوله، وتركه الزمن وحيدًا مع نفسه، مع تلك المساحة التي لا يمكن لأي أحد أن يملأها عنه.

في النهاية تشوهات الروح تنعكس على الجسد وما يربط الجسد بالوعي يربطه بالروح أيضا، فالكل يتأثر بالكل والجسد قد يكون مرآة الروح، فلم أرى روحا منهكة من قبل إلا وانعكس ذلك على الجسد، فما تخفيه عن العالم سيكشفه جسدك عاجلا أم آجلا.

المقعد الأخير — صرخة المتفرج الصامت

دومًا اخترت أن أكون متفرجة. اخترت المقعد الأخير في الصف الأخير، أراقب العالم بصمت وألم.

أشعر بكل شيء، أحس بكل شخص، أتعاطف في داخلي جدًا وأمثل دور اللامبالاة.

كنت أفضل ألا أكون مرئية... ببساطة لأني أقف هنا عاجزة، لا يمكنني تخفيف معاناة أي إنسان.

وفي النهاية حتى أنا إنسان... ولا أحد يمكنه التخفيف عني.

كلنا هنا نغرق في البر وسط وجود الأكسجين.

لا أحد بخير هنا.

الصغار يعانون، يشعرون أن آباءهم لا يحبونهم بالقدر الكافي ليمنحوهم الحياة التي يحلمون بها.

المراهقون يُنتزع منهم رداء الطفولة لتخرج نسخة لا تشبههم، نسخة لا عودة بعدها إلى الوراء.

رويدا رويدا سيكتشفون حقيقة الحياة، سيتعثرون، سيُخذلون، وسينضجون.

ثم تأتي مرحلة الشباب، حيث تبدأ الحرب النفسية والتآكل من الداخل.

أنت مربوط بوقت، لا وقت لتضيعه، لكن الأمور ليست بيدك.

أنت تحت الأنظار... الكل يتوقع منك شيئًا، وأنت نفسك عالق في اللاشيء، لا تعرف ما تريده في حياتك.

هل تتحدى العمر وتتحمل نتيجة التأخر، فتسمح للقطار بالمضي دونك؟

أم تركبه خوفًا من ضياع فرصة قد تكون سبب ضياعك؟

بعدها مرحلة الكهولة، حيث تكون أكبر من أن تشتكي من قراراتك، وأصغر من أن تستقيل من مسؤولياتك.

أنت هنا مسؤول عن الجميع. تستمع، تتحمل، وتلبي. أما أنت، فعليك أن تركن رغباتك جانبًا... لأنك أنت من اخترت الطريق.

وإذا قررت ترك القطار يفوتك، فغالبًا لن تركب قطارًا آخر.

لأنك ذقت طعم الحرية، ونضجت للحد الذي أصبحت تأخذ فيه الحكمة من تجارب غيرك دون أن تكون أنت الضحية.

لكن لكل خيار جانبه المظلم... في هذه الحالة، حياتك ستكون فارغة.

ستشتاق للازدحام، وربما للإزعاج الذي يشتكي منه غيرك.

ستفتقد شعور أن تكون محور الكون لدى أحدهم، وقدوة لدى آخر.

ستشعر أنك لست أولوية، لأنك نفسك لم تجعل غيرك أولوية فأصبحت تنتمي لنفسك فقط.

في النهاية، سيأتي اليوم الذي تنظر فيه إلى المرآة، وترى خطوط الزمن وآثاره على وجهك وجسدك.

ما أنهكك من الداخل خرج أثره للعيان.

لا يمكنك إخفاؤه... أنت الآن كتاب مفتوح.

من ينظر في عينيك سيرى ماضيك.

في داخلك شيخ كبير... بدون حيلة، تنظر إليه وتلمح نظرات التحسر والعجز.

روحه لا تزال شابة، لكنها محبوسة داخل جسد متعب مترهل تعلوه التجاعيد وشيب الزمن.

حتى جسده تخلى عنه، مثلما تخلى الأحباء.

في النهاية، حتى من يختار المقعد الأخير، لا يمكنه أن يظل متفرجًا إلى الأبد.

دورك سيحين، شئت أم ابيت.

الفصل الثالث عشر: الروح والزمن

السيدة مارتن والمصابيح

المنبه يدق الساعة السادسة صباحًا، تستيقظ السيدة مارتن لتطفئه وتغتسل، ثم ترتدي أجمل ثيابها لتفطر لوحدها تحت شجرة الزيتون، الشجرة الشاهدة على كل ما عاشته لحلوه ومره.

كانت الشجرة ضمن الزينة في حفل زفافها، تحمل مصابيح بألوان مختلفة. لم تكن تعلم أن تلك الألوان قد تكون فصول حياتها، وأن اختلافها سيكون مؤذيًا ومفاجئًا لها.

ظنت أن الحياة سينيرها فقط المصباح الوردي، لكنها لم تكن تعلم أنه سينطفئ يومًا.

الشاي دافئ، لكن مذاقه مر. قالت: "لربما السبب نقص السكر."

أضافت السكر، لكن الطعم لا يزال مرًا.

تركته جانبًا، وقامت من فوق الطاولة، تتلمس يدها الهزيلة الشجرة، وتقرأ الكلمات التي كتبها أحدهم: "ما دمنا نتنفس، هناك أمل لغد أفضل. أحبك."

تقبل الشجرة وتمسح دموعها، ثم تعود إلى فراشها.

الراحلون

البيت بارد جدًا على غير العادة، المدفأة مشتعلة لكن لا أثر للدفء هنا.

الأصوات صاخبة: صوت التلفاز، الهاتف، وأطفال الجيران يركضون، وضحكاتهم مليئة بالفرح.

لكن هذا البيت هادئ لدرجة أني أسمع صدى نبض قلبي، وأسمع صوت نفسي شهيقًا وزفيرًا، وأتذوق دموعي كما لم أتذوقها من قبل.

يداي ترتجف، الخزانة مليئة بالثياب لكنها على هذا الحال منذ فترة طويلة، لم تتسخ قط، والحذاء المركون على الدرج اعتلاه الغبار بعدما كان لامعًا منذ سنتين.

الهاتف لا يزال في الدرج، العطر، الساعة، علبة السجائر كلها موجودة... لكن أين صاحبها؟

مر الصيف، ثم الخريف، والشتاء والربيع مرتين. أثمرت الشجرة العارية مرتين، أنبتت الأرض القاحلة مرتين، مر عيدان، عادت

الطيور المهاجرة لموطنها، عاد الأحباء لأحبائهم... أما أنا، فقد انتظرته طويلًا ولم يعد، أعلم أنه لن يعود...

غيابه أنهكني، العيش على الذكريات أمر متعب، أحاول مرارًا وتكرارًا استشعار حضنه، كيف كان صوته.

أخاف يومًا أن أنسى نبرة صوته. رائحته لا تزال في أنفي، فرائحة الأب هي الأمان، وحضنه هو العالم، ووجوده هو الجنة.

رحمك الله يا روحي.

ليس كل من يرحل عنك قد يرحل منك، البعض جزء من روحك وفقدانه يطفئك، لكن تذكر أنك جزأه الحي الذي تكمله، ووجودك امتداد لوجوده، ستعيش ما لم يعشه ستقوى بذكراه ستحقق ما لم يحققه وسترسل له أدعية، هو بحاجتك هنا ووجودك يعني وجود جزء منه لذلك أعرف قيمة الحياة جيدا.

خاتمة:

في النهاية، نحن لسنا هنا من فراغ، فكلٌّ منّا له طريق لا بدّ أن يسلكه. والطريق الذي لا يناسبك خُلق لتتناسب أنت معه وتنال منه الحكمة. وما ليس لك، ليس لغيرك أيضًا. جميعنا هنا لوقتٍ محدّد، ولا أحد سيُخلّد في هذا العالم.

إذا تعرّضت للخيبة، فتذكّر أن أشدّ الخيبات أن يتخلى عنك جسدك. وإذا انتظرت الوقت المناسب، فلن يأتي، فالحياة ليست فيلمًا سينمائيًا وراءه طاقم كامل يجهّز للحظة المثالية.

لا شيء يستحق الخوف... هي حياة واحدة، فرصة واحدة، ولحظة واحدة. لا تخف من الأشياء التي لا تكتمل، واستمتع باللحظة وكفى. إذا كنت أنت نفسك وجودك مؤقتًا على هذا الكوكب، فكيف تطلب الخلود من غيرك؟

كيف تسعى للتملك وأنت لا تملك نفسك؟ كيف تنتظر وعودًا وأنت لا تستطيع قطعها؟

لا داعي لتعقيد الحياة أكثر مما هي معقّدة. استشعر الجمال في كل شيء، وانظر فقط إلى الجانب المضيء، وتجاهل الجانب المظلم... ففي النهاية، هو من سينظر إليك.

لذلك، لا تفكّر كثيرًا... وعِش اللحظة كثيرًا، كثيرًا.



المقعدُ الأخيرُ

«نظنّ أننا نعيش الحياة، والحقيقة أن الحياة هي من تعيشنا.»

تأليف:

سيهام عبد المجيد

TEL:0676890467
E.mail:tohfapublishhouse@gmail

ISBN: 978-9969-9876-8-3

9 789969 987683

تحفة للنشر والتوزيع

tohfa_publish_house

ولاية باتنة- بلدية بوزينة
-حي تيفيراسين- أوربر.